جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

النص الأوّل: الوضع اللغوي في المغرب العربي

يحتل الوضع اللغوي مكانة بارزة في تحديد فضاء المغرب العربي. وذلك لأنّ اللغة لا تصلح للتواصل بل تصلح للوجود، ولأنّها بالإضافة إلى كونها أداة تواصل هي أيضا حقل للتعبير يتجاوز الرّهان الأساسيّ فيه التخاطب إلى الهوية.من هذا المنظور يبدو الوضع اللغوي الاجتماعي مغاربيا معقدّا. إنّه فضاء تتحكّم فيه وضعية لغوية ثلاثية:

- لغة الثقافة، ومجال المكتوب، والمقدّس، أي اللغة الرسمية مغاربيا وهي العربية بطبيعة الحال.
- لغة الحياة الحياة العائلية والاجتماعية، شفوية و " محرومة " من سلطة الكتابة، وتستمد انتشارها وتداولها من أنّها اللغة الم(عربية دارجة أو أمازيغية) للجماعات التي يتألّف منها المغرب العربي.
- لغة أجنبية فرنسية، فرضها الاستعمار، وأصبحت بعد الاستقلال مصدرا للامتياز والترقية الاجتماعيين، ومجالا للتوتّر واتساع المطالبة بالتعريب، ومقاومة الفرنسة، أو مبرّرا لإقرار الازدواجية وإضفاء المشروعية عليها.

هذا الاستقطاب حول ثلاث لغات في المغرب العربي بما لها من مغايرات وتلوينات، لا يحيل فقط على ثلاثة تعابير لغوية تقع في مستويات مرجعية مختلفة هي: المحلي، والعربي الإسلامي، والغربي، بل يحيل أيضا على انطباع الوسط الاجتماعي بثلاثة ضوابط ثقافية مختلفة تمثّل بدورها نداءات أو إحالات على هويات مختلفة. هذه النداءات لا تمثّل عوالم منفصلة بقدر ما تشكّل عوامل في تكافل مستمر، بحيث يخضع الفرد لجاذبيتها كلّها في آن واحد ضمن المجرى العادي لحياته اليومية.

إنّ التعدّد اللّغوي ظاهرة طبيعية إذ لا يوجد مجتمع يستعمل لغة واحدة. إنّ المستويات اللغوية متفاوتة في كلّ مجتمع. لكن المسألة تتعلّق قبل كلّ شيء بالميكانيزمات التي تنتظم هذا التعدّد، وبالكيفية الملموسة التي يعاش بها. ففي حالة المغرب العرب يتّم ذلك بالتدريج على حساب قوة اللغة العربية الرسمية نفسها وضدا عليها أحيانا. ذلك أنّ

المغرب العربي يتفرنس يوما بعد يوم، والانتقال بين الوضعية اللغوية الثلاثية هو من بين عوامل أخرى يسهم في خلق محيط لغوي حركي وغير متجانس، قد ينتج عنه تهجين اللغة أو " تبليغها " إذا لم تتوفّر الشروط للمحافظة على نظامها وصفاتها.

... هذا المحيط اللغوي غير المتجانس ترك آثاره البالغة خلال العقدين الأخيرين على نظرة المغاربين إلى اللغة، وعلى استعمالهم كذلك. وأصبح لذلك من المتعذر بلورة وعي بالفضاء المغاربي دون الالتفات إلى ما أصاب طرائق التعبير ومستويات التشخيص اللغوي من تغيّر بتغيّر المعجم وتنوّع سجلات الكلام التي يستقي منها ألفاظه وتركيبه ومفاهيمه كذلك. ولا شك أنّ وسائط الإعلام، والضعف الملحوظ في السليقة اللغوية لدى المتعلمين والقراء إجمالا، لا شكّ أنّ ذلك له تأثير هو الآخر. إنّ سجل الاصطلاحات المتداولة، والميل نحو تفضيل الجملة الاسمية على الفعلية، وظاهرة التقديم والتأخير غير القياسية، وشيوع الاستغناء عن أدوات العطف عند تكرارها، والميل إلى استعمال الجمل الطويلة حيث يتّم الفصل بين المتطاتين بعدّة جمل اعتراضية، وقلة الاكتراث باللحن حتى بين المبدعين والنقاد أحيانا: كلّ هذه الظواهر لا يمكن اعتبارها مجرّد أخطاء شائعة. إنّها ظواهر " لغة " أخرى ليس من السهل تجاهلها لغة الفئات بل والمؤسسات التي تتداول فيها وبها تتواصل.أليست الظاهرة بعدئذ مؤشّرا على ما يمكن أن يسمّى بذور وعي لساني متحوّل؟. إنّ من نتائج هذا الوعي تزايد الإحساس لدى الناس بالحاجة إلى التعبير والإفصاح عن الذات عن طريق الكلام والأدبي نته بشكل خاص، وبارتفاع الكلفة عنهم في التعامل مع اللغة، حيث انتقل الكلام من دائرة الامتياز، ومن مجال العواطف النبيلة إلى دائرة العادي واليومي، النثري والمبتذل، لكن المعيش قبل ذلك. وقد أصبح مفروضا على اللغة العربية أن تستوعب بذور هذا الوعي اللساني المتحوّل، بأن تنفتح على ما حولها من لغيّات وأساليب ورطانات، حتى تمتلك قدرة أعمق على التشخيص الملائم لتباين العلاقات الاجتماعية وتمايزها، وحتى تمتلك قدرة أعمق على التشخيص الملائم لتباين العلاقات الاجتماعية وتمايزها، وحتّى تمتلك تداولا أوسع وأكثر فعالية، وأقرب إلى الحياة. وهنا يكمن أحد رهانات الخطاب الروائي المغاربي.

عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب، ص ص 16- 18